بيان الفرقة الناجية المنصورة وأوصافها

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

(أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ).

(الشرح)

قوله: (**أَمَّا بَعْدُ**): هذه كلمة يؤتى بها عند إرادة الدخول في صلب الموضوع، ومعناها: "مهما يكن من شيء"، ففيها إقبال على ما هو بصدده، والفصاحة تقتضي أن يكون ما بعدها حرف الفاء الرابطة.

قال ابن مالك [١]:

أمّا كمهما يك من شيءٍ وفا ... لتلو تلوها وجوباً ألفا

وبعض الشراح يقول: هي كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، وهذا غير دقيق، لأنه لو كان كذلك لكان مقتضى ذلك أننا كلما أردنا أن ننتقل من بحث إلى بحث نقول: أما بعد؛ فالصحيح أنه يؤتى بها للدخول في صلب الموضوع.

---

[١] ألفية ابن مالك: باب: (أمّا ولولا ولوما).

وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يستعملها في خطبه، فيحمد الله ويثني عليه، ثم يقول: أما بعد. وكذلك يفعل في مكاتيبه؛ فاستعمالها فيهما من السنة.

قوله: (فَهَذَا): اسم إشارة، والمشار إليه: ما سيذكره المصنف -رحمه الله- لاحقًا.

قوله: (اعْتِقَادُ): وهو **لغةً**: مصدر اعتقد، يعتقد؛ مأخوذ من العقد، والعقد: هو الربط والشد، والحزم؛ تقول: عقدت الحبل، أي شددته، وربطته، وعقدت البيع، أو النكاح، إذا أثبته وأمضيته؛ فسميت المعارف اليقينية، والمعاني القلبية المؤكدة: عقائد؛ لأنها تفيد معنى الجزم، والقطع؛ فالعقائد لا يصلح فيها الشك، والتردد.

واصطلاحًا: حكم الذهن الجازم، وقد يكون حكماً عقلياً، وقد يكون حكماً حسياً، وقد يكون حكمًا إيمانيا، وهو المراد هنا.

فحكم الذهن الجازم عقلياً: كقولك: الواحد نصف الاثنين.

والحكم الحسي: كقولك: السماء فوقنا، والأرض تحتنا.

والحكم الإيماني: كقولك: الله ربنا، محمد نبينا، القرآن كتابنا، الإسلام ديننا.

قوله: (الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ):

وصف الشيخ أهل الحق بأربعة أوصاف:

الوصف الأول: (الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ): وهي الناجية من البدع، والضلال في الدنيا، ومن النار في الآخرة؛ وذلك أنهم اعتصموا بالكتاب والسنة، وقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي

الْجنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النّارِ، ووَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، واحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتانِ وَسَبْعُونَ فِي النّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: مَنْ كان على مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي)[1]، فلما نجوا في الدنيا من البدع والضلالات، أعقبهم ذلك نجاة في الآخرة من النار؛ ولهذا سميت: الفرقة الناجية.

الوصف الثاني: (الْمَنْصُورَة): هذا الوصف استمده المصنف من الحديث الصحيح: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)[2]؛ فأخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، ببقاء طائفة من الأمة منصورة، (ظاهرة)، والظهور معناه العلو، إما بالحجة والبيان، أو بالسيف والسنان، أو بهما معًا، كما تقدم؛ فهذه الفرقة، ولله الحمد، لم تخل منها الأرض، من عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى يومنا هذا، لكنها تقوى وتضعف، وتزيد وتنقص، بما يبتلي الله عز وجل، به عباده، قال تعالى: {وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ} [محمد: ٤]، فأحيانًا تنتشر أعلام السنة، ويفشو العلم، ويتبين الحق، وأحيانًا يقع العكس؛ فتكثر البدع، ويفشو الجهل، ويصبح أهل السنة في الناس قليل.

---

[1] حديث الافتراق رواه بألفاظ مختلفة أحمد: رقم (١٢٤٧٩)، والترمذي: رقم (٢٦٤٠) وحسنه، وأبو داود، رقم (٤٥٩٧)، وابن ماجه: رقم (٣٩٩٢)، والمروزي في السنة: رقم (٥٩)، والحاكم: رقم (١٠، ٤٤٣)، وقال: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح الحديث، وصححه الألباني في صحيح الجامع: رقم (٢٠٤٢).

[2] أخرجه مسلم: رقم (١٩٢٠).

قوله: ﴿**إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ**﴾: أي إلى قرب قيامها، لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ)[١]؛ فينقطع ذكر الله من الأرض، ولا يبقى إلا شرار الخلق؛ ينزو بعضهم على بعض كما تنزو الحمر، فعليهم تقوم الساعة، وأما هذه الفرقة، فبقاؤها إلى قرب قيام الساعة، لقوله، صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ)[٢]، فيستنقذهم الله تعالى من شرار الخلق، الذين تقوم عليهم الساعة.

الوصف الثالث: ﴿**أَهْلِ السُّنَّةِ**﴾: السنة: لغة: الطريقة، مِن سنّ سنة، أي: خطّ دربًا، وشقّ طريقًا، واصطلاحًا: الطريقة التي كان عليها النبي، صلى الله عليه وسلم، في أمور الدين كلها؛ الاعتقادية والعملية، ولهذا درج المصنفون الأوائل، من أهل السنة والجماعة، على تسمية مصنفاتهم في أصول الدين والملة: كتاب السنة، ككتاب السنة، لعبد الله ابن الإمام أحمد، وكتاب السنة للأثرم، وغيرها كثير.

وليس المراد بالسنة هنا ما عند المحدثين أو الفقهاء؛ لأن لفظ السنة له استعمالات متعددة، فالسنة عند الفقهاء: ما يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه؛ فهي أحد الأحكام التكليفية الخمسة: الوجوب، والتحريم، والاستحباب، والكراهة، والإباحة، وعند المحدثين: ما أُضيف إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، من قول،

---

[١] أخرجه مسلم: رقم (١٤٨).

[٢] أخرجه مسلم: رقم (١٩٢٤).

أو فعل، أو تقرير، أو صفة خِلقية، أو خُلقية، وعند الأصوليين: ما أضيف إليه، صلى الله عليه وسلم، من قول، أو فعل، أو تقرير؛ لأن عنايتهم بالأحكام؛ فالسنة عند المتقدمين تعني الاعتقاد.

الوصف الرابع: (**الْجَمَاعَةِ**): وهم السواد الأعظم، وغيرهم أهل التفرق، ذلك أن الله، تبارك وتعالى، قد أمر عباده بالاجتماع والائتلاف، ونهاهم عن التفرق والاختلاف؛ فقال سبحانه: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: ١٣]، فإقامة الدين تكون بالاجتماع عليه، والتناصر فيما بينهم، ومن لازم ذلك الاجتماع على إمام واحد، يبايعونه، على السمع والطاعة، بالمعروف، ويصلون خلفه الجُمَع والأعياد، ويقاتلون تحت رايته، ولا ينابذونه؛ قال الله، عز وجل: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ} [آل عمران: ١٠٣]، وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: (وإِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي – أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللَّهِ مع الجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ)[١].

فأهل السنة والجماعة هم عمود المسلمين، على مر القرون، وهم أهل الاجتماع والائتلاف، وغيرهم أهل التفرق، والاختلاف.

---

[١] أخرجه الترمذي: رقم (٢١٦٧) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم: في المستدرك، رقم (٣٩١). وحسنه السيوطي، في الجامع الصغير، رقم (١٨١٨)، وقال ابن العربي: في عارضة الأحوذي: (وإن لم يكن لفظه صحيحًا فإن معناه صحيح)، رقم (٥/٢٧)، وصححه الألباني، بدون لفظ (ومن شذ في النار).

فأوصاف أهل السنة والجماعة أوصاف شرعية؛ مستمدة من ناطق الكتاب وصحيح السنة، فيُنبسون إلى الأوصاف الحميدة التي زينهم الله تعالى بها، ولو تعددت، فإن تعددها لا يعني أنهم فرق مختلفة، فهم أهل السنة، وهم أهل الحديث، وهم الطائفة الناجية، وهم الفرقة المنصورة، وهم السلفيون؛ فهذه أسماء لمسمى واحد.

وأما أهل البدع فإنهم يُنسبون إما إلى مقالاتهم، كالقدرية، نسبة إلى إنكارهم القدر، والجبرية نسبة إلى قولهم بالجبر، والخوارج نسبة إلى خروجهم، وربما نسبوا إلى رؤسائهم، كالجهمية، نسبة إلى الجهم بن صفوان [1].

---

(١) الجهم بن صفوان: قال عنه الذهبي: أبو محرز، الراسبي مولاهم، السمرقندي، الكاتب، المتكلم، رأس الضلال، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاءٍ وجدل... وكان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، ويقول بأن الله في الأمكنة كلها. وقد أخذ مقالته عن سلفه الجعد بن درهم، فأذاعها ونشرها، ولهذا صارت المعطلة تنسب إليه؛ فيقال: (الجهمية)، لا (الجعدية)، وكان قد خرج مع الحارث بن سريج على بني أمية؛ فقتله سلم بن أحوز، صاحب شرطة نصر بن سيار، عام ١٢٨هـ.

الإيمان وأركانه

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–:

(وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

(الشرح)

قوله: (وَهُوَ): مرجع الضمير إلى الاعتقاد، في قوله: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية.

قوله: (الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ): اقتبس الشيخ هذه الجملة من حديث جبريل المشهور؛ حين ابتعث الله أفضل رسول ملكي، إلى أفضل رسول بشري، فسأله عن الإيمان، فأجاب النبي– صلى الله عليه وسلم– بهذا الجواب البيّن الجلي؛ فقال: (أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِه، وَكِتَابِه، وَلِقَائِه، وَرُسُلِه، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّه)[١]؛ هذه أصول الإيمان، فمن أراد تعريف الإيمان، فلن يجد تعريفًا خيرًا من تعريف النبي–صلى الله عليه وسلم–.

ومبحث الإيمان عند أهل السنة والجماعة قد يراد به أحد أمرين:

الأمر الأول: المُؤمَنُ به، وهو أركان الإيمان، كما وقع في جواب النبي، صلى الله عليه وسلم، وهي الأصول الستة، وإن شئت فقل: الخمسة، كما يعبر بعض

---

[١] أخرجه البخاري: رقم (٤٧٧٧)، ومسلم: رقم (١٠) واللفظ له.

العلماء؛ على اعتبار أن القدر داخل في الإيمان بالله.

الأمر الثاني: حقيقته وحدّه وتعريفه، وأنه قول وعمل، وزيادته ونقصانه، وبيان ما يعارضه من الكفر وأنواعه.

والمقصود هنا أركانه، ونشير إليها بإجمال:

الركن الأول: الإيمان بالله

وهو أعظمها وأجلها، ولا يتم الإيمان بالله إلا بالإيمان بأربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بوجوده.

الأمر الثاني: الإيمان بربوبيته.

الأمر الثالث: الإيمان بألوهيته.

الأمر الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

الأمر الأول: **الإيمان بوجوده سبحانه**، وأن وجوده هو الوجود الحق، والمتكلمون يقولون: واجب الوجود؛ لأن وجوده لا يفتقر إلى وجود غيره، ومن سواه: ممكن الوجود؛ لأن وجود غيره مفتقر إلى وجوده، وقد تضافرت الأدلة، من العقل، والشرع، والحس، والفطرة، على وجود الله.

الأمر الثاني: **الإيمان بربوبيته**، وهو اعتقاد أنه الخالق المالك المدبر؛ فعلى هذه الثلاثة تدور معاني الربوبية، وتوحيد الربوبية: توحيد الله بأفعاله؛ كالخلق، والملك، والتدبير.

الأمر الثالث: **الإيمان بألوهيته**، وهو اعتقاد أنه الإله المستحق للعبادة وحده، دون ما سواه؛ فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره، سبحانه.

الأمر الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته، وهو إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه، أو أثبتها له نبيه، صلى الله عليه وسلم، في سنته، وتوحيده بها: اعتقاد تفرده بها؛ فلا يماثله فيها أحد، وهو ما أفاض فيه المصنف لاحقًا.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة

ولا يتم إلا بتحقيق أربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بوجودهم، وأن وجودهم حق؛ فليسوا قوى معنوية، بل خلق حقيقي، وعالم غيبي؛ خلقهم الله من نور.

الأمر الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، ومن لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالًا: فنعلم من أسمائهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ومنكر ونكير، وهاروت وماروت، ومالك، ومن لم نعلم اسمه، وهم الأكثر، فإننا نؤمن بهم إجمالًا.

الأمر الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم؛ فقد وصفهم الله تعالى بجملة من الأوصاف، كقوله: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} {فاطر: ١}، ووصفهم نبيه ﷺ فقال: (أُذِنَ لي أن أُحدِّثَ عن مَلَكٍ مِنْ ملائكة الله من حَمَلَة العرش: إن ما بين شَحمة أذُنه إلى عاتِقِه مَسيرةُ سبعِ مئةِ عام)[١].

الأمر الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم، ووظائفهم، ولملائكة الرحمن وظيفة عامة مشتركة، وهي عبادة الله، وتسبيحه، وطاعته؛ قال الله تعالى: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}[الصافات: ١٦٥-١٦٦]، وقال الله تعالى: {وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ

---

[١] أخرجه أبو داوود: رقم (٤٧٢٧)، وقال فيه الحافظ ابن كثير: في تفسيره إسناده جيد، (٨/ ٢٣٩)، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٦٥).

اللّيْلَ وَالنّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}[الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقال الله تعالى: {يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللّيْلِ وَالنّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ} [فصلت: ٣٨]، وقال: {بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}[الأنبياء: ٢٦-٢٧].

الركن الثالث: الإيمان بالكتب

ولا يتم إلا بتحقيق أربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقًا؛ فليست كلام ملك، ولا كلام رسول؛ بل هي كلام الله حقًا.

الأمر الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، وما لا نعلم اسمه فإنا نؤمن به إجمالًا: فنعلم من كتب الله: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم وموسى؛ فنؤمن أن الله تعالى أيد أنبياءه بكتب، لتبقى حجةً على الناس، ونوراً، وهدىً لهم.

الأمر الثالث: تصديق ما صح من أخبارها؛ ذلك أن الله تعالى أخبرنا بأن من قبلنا كانوا: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} [النساء: ٤٦، المائدة: ١٣]، و {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} [المائدة: ٤١]، وأنهم: {يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً} [البقرة: ٧٩]، فلما كان الأمر كذلك، وصارت محل الريبة والظنة؛ لم يكن لنا أن نصدق شيئًا من أخبارها، إلا بأثارة من علم، ودليل صحيح.

وقد قسم العلماء المأثور من كتب أهل الكتاب قبلنا، ويسمونها "الإسرائيليات"، إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما شهد كتابنا بصحته؛ كذكر خلق آدم، وذكر الطوفان، وقصة إبراهيم، ولوط، ويوسف، وموسى، وآيات عيسى ابن مريم؛ من إبراء الأبرص،

والأكمه، وإحياء الموتى، فهذا نؤمن به من حيث الجملة؛ لشهادة كتابنا به.

القسم الثاني: ما شهد كتابنا ببطلانه؛ وهو ما أدخلوه في كتب الله، عز وجل، من الباطل، كزعمهم أن لوطًا، عليه السلام، شرب الخمر، وزنى بابنتيه، وزعمهم أن سليمان، صلى الله عليه وسلم، عبد الأصنام؛ فهذا نرده؛ لشهادة كتابنا بكذبه.

القسم الثالث: ما لا نجد في كتابنا ما يشهد بصحته، ولا يشهد ببطلانه، فهذا النوع لا نصدقه ولا نكذبه، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: {مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا. إِلَى {وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ}، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ}[١]، ولكن هذا النوع تجوز روايته لمن كان عالمًا فقيهًا؛ لقول النبي ﷺ: [وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ][٢]، وقد قال معاوية –رضي الله عنه– عن كعب الأحبار: (وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ) [(٣)]، ولم يرد، رضي الله عنه، أن كعبًا يتعمد الكذب، وإنما أراد أنهم يجدون في مروياته ما يعلمون بطلانه، ومخالفته للواقع، بما أنعم الله عليهم من الكتاب، والحكمة.

الأمر الرابع: العمل بما أُنزل إلينا منها، وهو القرآن العظيم، فلا بد من الحكم به، فإن الله تعالى ذكر التوراة، ثم ثنى بالإنجيل، ثم ثلث بالقرآن، فقال: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} [المائدة:

---

[١] أخرجه أبو داوود: رقم (٣٦٤٤).

[٢] أخرجه البخاري: رقم (٣٤٦١).

(٣) أخرجه البخاري: رقم (٧٣٦١).

٤٨]؛ أي حاكمًا ومؤتمنًا، وقاضيًا، وشاهدًا، وناسخًا: {فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ} [المائدة: ٤٨]، فلا يجوز العمل بما سبق إلا أن يقره شرعنا، فشرع من قبلنا شرع لنا، لم يرد شرعنا بخلافه، بدليل أن الله تعالى قال: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ} [المائدة: ٤٥]، فأقر الله سبحانه وتعالى هذا، ثم زاد: {فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ}[المائدة: ٤٥]، وقد جاء في حديث، بإسناد جيد: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنُسْخَةٍ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ نُسْخَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَسَكَتَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ يَتَغَيَّرُ، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، مَا تَرَى بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي، لَاتَّبَعَنِي)[1].

---

[1] أخرجه أحمد: رقم (١٥١٥٦)، والدارمي: رقم (٤٤٩)، واللفظ له.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل

ولا يتم إلا بتحقيق أربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بأن رسالتهم من عند الله حقًا: فإن الله اصطفاهم، واختارهم عن علم وحكمة؛ قال تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤]، وقال: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} [الحج: ٧٥]، ورد على المتنقصين، فقال: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ} [الزخرف: ٣١، ٣٢]؛ فالنبوة لا تُنال بالكسب، ولا تُنال بالرياضة، ولا تُنال بالمجاهدة، كما زعم ذلك بعض زنادقة الصوفية، كما أنها لا تُنال بالقوى الطبعية والعقلية، كما ادعى ذلك ابن سينا والفلاسفة؛ فزعموا أن للنبوة ثلاثة شرائط: القوة القدسية، والقوة الحدسية، والقوة التخييلية! فمن توفرت فيه هذه الخصائص صار نبيًا تلقائيًا! وكل هذا من الباطل؛ بل هي اصطفاء من الله، عن علم وحكمة.

الأمر الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم، ومن لم نعلم اسمه فإنا نؤمن به إجمالًا: وفي القرآن العظيم، ورد ذكر خمسة وعشرين رسولًا نبيًا، وفي السنة، ذكر يوشع بن نون، فهذا أقصى علمنا بأسمائهم، وإلا فإن رسل الله كثر، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا} [النحل: ٣٦]، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} [غافر: ٧٨].

الأمر الثالث: تصديق ما صح من أخبارهم: كقول النبي، صلى الله عليه وسلم:

(إِنّ مِمّا أَدْرَكَ النّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبوّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)[١]، ومن أخبارهم ما قص الله تعالى علينا في كتابه، كقصة موسى وفرعون، وسائر أنبيائه، وما حدّث به نبيه، صلى الله عليه وسلم، في الأحاديث الصحيحة، من أخبار الأنبياء السابقين.

الأمر الرابع: العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم: وهو محمد، صلى الله عليه وسلم.

---

[١] أخرجه البخاري: رقم (٦١٢٠).

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

ولا يتم إلا بتحقيق أربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بما يكون في القبر: وهما أمران: فتنة القبر، وعذاب القبر، أو نعيمه، وسيأتي الكلام عليهما، لاحقًا.

الأمر الثاني: الإيمان بالبعث، وهو إخراج الناس من قبورهم أحياء يوم القيامة، كما وصف النبي، صلى الله عليه وسلم: [يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا][1]: حفاة غير منتعلين، عراة غير مكتسين، غرلًا غير مختونين، وفي رواية: [بهمًا][2]: أي ليس معهم شيء.

الأمر الثالث: الإيمان بالحساب: وسيأتي ذكر الفرق بين محاسبة الكفار، ومحاسبة المؤمنين، وذكر نوعي حساب المؤمنين.

الأمر الرابع: الإيمان بالجزاء: وهو الجنة أو النار؛ فالجنة: هي الدار التي أعدها الله نعيمًا لأوليائه المتقين، والنار: هي الدار التي أعدها الله عذابًا لأعدائه الكافرين، وهما مخلوقتان، باقيتان، لا تفنيان.

---

[1] أخرجه البخاري: رقم (٦٥٢٧)، ومسلم: رقم (٢٨٥٩)، واللفظ له.

[2] أخرجه أحمد رقم (١٦٠٤٢).

الركن السادس: الإيمان بالقدر

ولا يتم إلا بتحقيق أربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء.

الأمر الثاني: الإيمان بكتابة الله للمقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

الأمر الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته التامة.

الأمر الرابع: الإيمان بخلق الله لجميع الأشياء؛ ذواتها وصفاتها وحركاتها، وسيأتي تفصيله في موضعه.

وبهذا البيان تنتظم مفردات أركان الإيمان الستة، وينبغي لطالب العلم أن يُحسن تصوره، وتقسيمه؛ ليتمكن من بيانه لعموم الناس؛ فإن الناس في أمس الحاجة إلى إدراك هذه التفاصيل.

وأكثر ما بيّنه المصنف في هذه العقيدة الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر، وأما الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، فجرت إشارة عابرة إليه.

وبعد أن ذكر الشيخ الأصول العامة لمجمل العقيدة الإسلامية دخل في شيء من التفصيل والبيان.